

## هيرمونطبيقات أدبية

ورد في معلقة امرئ القيس:

" وَلاَ لَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرخى سُدُولَهُ ... عليّ - بأنواعِ الهمومِ لِيبتلي "

والكلمات هي: (كَ-) حرف جر، و(مَوْج-) اسم مجرور، وتعني أن الليل يشبه موج البحر، وقد تقدم رجلا إلى الإمام الإشبيلي ليسأله سؤالاً لا يُسأل عنه إلا من ينم عن غير معرفة، عن معنى "الكموج" (ظناً) أنها كلمة واحدة)، فأجابه الإشبيلي ساخراً: "الكموج دابةٌ تقرأ ولا تفهم.

المعنى المقصود: يُضرب هذا القول مثلاً على من يقرأ النصوص دون أن يفقه معناها، أو من يتصدر للحديث دون علم.

ومن هذا الباب: رب كلمة قالت لصاحبها دعني، وأيضاً: " لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها".

بائك تجر وبائي لا تجر

طرفه نحوية شهيرة تستخدم حالياً ككناية عن الكيل بمكيالين، أو الازدواجية في المعايير، أو المحاباة. وأن العدالة تقتضي ألا يكون هنالك باء أفضل من أخرى، إذا كانت وظيفتهما اللغوية واحدة. قد يكون هذا الاعتراض وجيهاً لو طرحه شخصٌ يدركُ ما يقول ولم يُخالفُ اعتراضه قواعد اللغة.

تعود جذور هذه القصة الطريفة بين نحوي ورجل عامي، حيث استنكر الأخير تطبيق قواعد النحو على كلامه دون غيره، لتصيح مثلاً يُضرب عند غياب العدالة والمساواة.

وأصل القصة:

سأل نحويٌ رجلاً عن حمارٍ أبيه، فقال: " ما فعل أبوك بحماره؟" بجر كلمة حمار

أجاب الرجل: "باءه" بكسر العين والهاء

قال النحوي: قل "باءه" بفتح العين

قال الرجل: فلم قلتَ "بحماره" بالجر

قال لأن الباء تجر، والباء في كلمتك من أصل الكلمة.

رد الرجل: " فمن جعل باءك تجر وبائي لا تجر؟

موعظة مجنون ليلي

القصة الشهيرة التي تذكر مرور شخص على أناس يصلون دون أن يشاهدَهم وهي قصة منسوبة للشاعر العذري قيس بن الملوح " مجنون ليلي".

وتفاصيل القصة: يروى أن قيس بن الملوح كان يتبع كلب ليلي العامرية أملاً في أن يدلّه على مكانها، وفي طريقه مر على جماعة من الناس كانوا يصلون، فلم يلحظهم ولم يقف معهم لشدة شغفه وذهوله بليلى.

وجرى هذا الحوا بينه وبينهم:

المصلون: عندما عاد قيس في الطريق، نادوه وقالوا: " أتمر علينا ونحن نصلي ولا تصلي معنا؟! ".

قيس بن الملوح: " وا وا ما رأيتمكم! ووا لو كنتم تحبون اا كما أحب ليلي لما رأيتموني!".

الهدف من القصة:

تُروى هذه القصة كنوع من الموعظة لبيان حقيقة الخشوع، حيث قارن قيس بين شدة تركيزه (حبه ليلي) الذي أنساه كل شيء، وبين خشوع المصلين الذي يفترض أن يكون أشد، حيث قال: " كنتم بين يدي اا ورأيتموني، وأنا بين يدي كلبها ولم أراكم".

الواعظ قدوة

قال عليّ عليه السلام: من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

وقيل: مؤدّب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من مؤدّب الناس ومعلمهم. وفيها تأكيد على القدوة: يُشَدِّدُ هذا القول على أن زلة العالم أو القائد عظيمة، وأن العمل بغير علم، يُفْسِدُ أكثر مما يُصْلِحُ.

كما تدعو هذه الحكمة إلى ضرورة إصلاح القائد أو الواعظ لنفسه أولاً، وأن يكون قدوة بأفعاله وسيرته قبل أن يوجه وينصح بلسانه.

وأنشدوا، وقيل هي لأبي الأسود الدؤلي وقيل هي للمتوكل بن عبد الله الليثي:

يا أيُّها الرَّجُلُ المَعْلَمُ غيرَه ... هَلْ لِنَفْسِكَ كان ذا التَّعْلِيمِ  
تصفِ الدَّواءَ لذي السِّقامِ وذي الضُّمَنِ ... كيما يَصِحَّ به وأنت سَقِيمٌ  
ونراك تَصِلُحُ بالرشادِ عَقولِنا ... أبداً وأنت من الرِّشادِ عَدِيمٌ  
فأبداً بِنَفْسِكَ فانها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حَكِيمٌ

فَهِناكَ يَقْبَلُ ما تَقولُ وَيَهتَدِي ... بالقولِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ  
لَا تَنه عن خَلقٍ وتأتي مِثْلَه ... عارِ عَلَيْكَ إذا فَعَلت عَظِيمُ

ونختم بهذه الحكاية الطريفة لذات العلاقة:

نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم، فقال لها:  
أنت طالق إن سعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي  
إن مات الإمام مالك أحتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

### المخبر لا المظهر

قصة الأعمى والأعرابي مثالاً لذلك:

يقول الأعمى أنه ذات يوم توجه إلى مأدبة مليئة بأصناف كثيرة من الأطعمة، وإذ بأعرابي آتٍ من بعيد، كي يجلس على هذه المائدة من غير دعوة، وأثناء تفحصه للطعام، مدَّ يده لالتقاط " السمن "، وأثناء رفعه له، سال السمن من بين أصابعه وامتزج مع الغبار الذي كان يملأ يديه أيضاً، فانتبه الأعمى لما حصل، وأراد إضحاك القوم الجالسين عليه فقال:

كأنتك أثلة في أرض هشر ... أتاها وابلٌ من بعد رش.

فالتفت الأعرابي إليه وعيناه موقدةً بالاحمرار، فردَّ قائلاً:

كأنتك بعرة في إست كيش ... مدلاة وذاك الكيش يمشي

فتعالت ضحكات الجالسين على الأعمى حتى انخرج، فردَّ على الإعرابي متسائلاً: "كأنتك تجيد الشعر؟"،

فردّ عليه الأعرابيُّ قائلاً: "كيف لا أجيده وأنا أبوه وأمه"، فردّ الأعمعي: "عندي قافية تريد عطاءً  
فَغُمْتُ في بحار العربية فما وجدت أصعب من قافية من الواو الساكنة"، ثم بدأ الأعمعي بسرد البيت  
الآتي:

قومٌ بنجدٍ عهدناهم ... سقاهاهم من النور

ثم سأل الأعرابي: "أتدري ما النور يا أعرابي؟"، فردّ الأعرابي قائلاً:

نورٌ تلاً في دجى ليلةٍ ... حالكةٍ مظلمةٌ لو

فعلّق الأعمعي: "لو ماذا؟"، فجاوب الأعرابي:

لو سار فيها راكبٌ لاثني ... على بساط الأرض منطو

فعلّق الأعمعي: "منطو ماذا؟"، فجاوب الأعرابي:

منطو الكشح هضم الحشا ... كالبار ينقض من الجو

فحاول الأعمعي تصعيب الأمر بأسئلته فعاود الأعرابي الجواب:

جو السما والريح تعلق به ... اشتم ريح الأرض فاعلو

عاود الأعمعي السؤال: أعلو ماذا؟"، فردّ قائلاً:

فاعلوا لما عيل من صبره ... فصار نحو القوم ينعو

فعاود الأعمعي السؤال، وقال "ينعو" ماذا، فقال الأعرابي:

ينعو رجالاً للقنا شرعت ... كفتيت بما لاقوا ويلقوا

فقال الأعمى " يلقوا " ماذا، فقالا الأعرابي:

إن كنت لا تفهم ما قلته ... فأنت عندي رجل بو

فقال الأعمى " بو " ماذا، قال الأعرابي:

البو سلخ قد حشي جلده ... بأطلف قرنين تقيم أو

فقال الأعمى " أو " ماذا، قال الأعرابي:

أو أضرب الرأس بصوانة ... تقول في ضربتها قو

ثم صمت الأعمى خوفًا من أن يسأل " قو " ماذا؟، فيضربه الأعرابي بالصحن. وفي روايةٍ أخرى يقال إنه  
سأل الأعرابي " قو ماذا؟ "، فردَّ الأعرابي قائلاً:

القو في الرأس له نفخة ... يبين من أثارها الضو

لذا سكت الأعمى؛ كي لا يضربه الأعرابي، لكن الأعمى انتبه لبلاغة الأعرابي في الشعر، فدعاه إلى منزله  
وكانت زوجة الأعمى قد ذبحت دجاجة، وكانت العادة وقتها أن يُقدِّم الطعام للضيف كي يقسمه بين  
الجميع. باشر الأعرابي بالتقسيم فقال: "الرأس للرأس، فأعطاه إلى الأعمى، والرقبة للعتبة، فأعطاه  
للزوجة، والفخذين للولدين، والجناحين للبننتين، أما الباقي للضيف، وهنا شعر الأعمى بالحرص، فطلب  
من زوجته ذبح خمس دجاجات في اليوم التالي، ثم طلب من الأعرابي التقسيم مرة أخرى. فخير الأعمى  
وسأله: " تريد شفعًا أم وترًا "، فردَّ الأعمى أنه يريد الوتر، فردَّ الأعرابي: " أنت وزوجتك لكم  
دجاجة، وابنتيك دجاجة، وولديك دجاجة، فردَّ الأعمى قائلاً "أريد شفعًا أقيلك، وا قبل بعد الإقالة".  
قيل الأعرابي، فردَّ قائلاً "أنت وابنيك ودجاجة أربع وزوجتك وبنتيها ودجاجة وأنا وثلاث دجاجات،  
ولا أقبل إلا هذه القسمة" ثم أخذ الثلاث دجاجات وذهب.

وقال الشاعر كثير عزة وقيل للعباس بن مرداس في هذا المعنى:

ترى الرَّجُلَ النحيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ هصورٌ

ويُعجِبُكَ الطَّارِيرُ إِذَا تَرَاهُ ... فَيُخَلِّفُ طَائِفَتَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

وما أجمل أن ديننا الحنيف حيث دعا إلى الجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر.